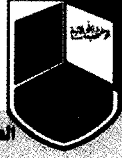
دراسات إسلامية

مجلة علمية سنوية محكمة



العدد الخامس / ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م

حاجة البشرية إلى الوسطية والمضامين الإنسانية في معانيها

د. نجاة حسن أحمد يس

أستاذ العقيدة والأديان المساعد بجامعة الدمام ، كلية العلوم والآداب بالخفجي

يصدرها قسم الدراسات الإسلامية ، كلية الآداب ، جامعة الخرطوم - قسم الثقافة الإسلامية بإدارة مطلوبات جامعة الخرطوم

(١٨٣-٢١٦)

ملخص بحث

لا شك أن البشرية في حاجة إلى منهج التوسط إنقاذاً لها من الانحراف وتحقيقاً لأسس السلوك القويم المتوازن الذي يكسب الأمة الإسلامية الرشد عبر مسيرتها الحضارية ويحقق للإنسان المسلم إنسانيته وكرامته.

ولا تخرج معاني الوسطية عن تحقيق العدل والخيرية والتوسط حيث لا إفراط ولا تفريط ولا غلو ولا تهاون.

وجاءت حاجة البشرية إلى الوسطية متمثلة في القيم منهاجاً ضابطاً لهذه الوسطية التي تستمد من روح الإسلام محققة أفضل الأسس والأنظمة الاجتماعية من " **عدل ، وشوري وحرية ومساواة** " ومنظمة للأبعاد السلوكية والنفسية حيث إن السلوك السوي يقوم على فكرة التوازن حتى يكون الإنسان عنصر بناء لا هدم وذلك بتكامل الروح والمادة تحقيقاً للصحة النفسية للمسلم.

وفي مجال التطبيق الواقعي تحمل الوسطية كثيراً من المضامين الإنسانية الفاعلة في الحياة مثل الخيرية والاستقامة ، والبينية ، والحكمة وفي كل ذلك تطبيق لأمر الله ورسوله الكريم ، وتأكيد لصلاحية الإسلام لكل زمان ومكان.

Abstract

Human Need for Moderateness and Human implications within its meaning

Human kind is in need fro moderateness method in order to save its kind from deviation and realize the balanced straight forward basics of behavior which leads the Moslem Nation towards guidance along its civilized progression what guarantees for the Moslem both his humanity and dignity.

The meaning of moderateness comes with realization of justice, charity and unextremism where there is neither excessiveness and superiority, nor negligence and underestimations.

Human need for moderateness comes as a representation of values, methodological control of its model which is derived from the spirit of Islam to achieve the best social principles and disciplines , justice, consultancy and freedom, while organizing behavioral and psychological parameters, since righteous

behavior is based on the national balancing which makes man a constructive rather than a destructive element by integrity of soul and material which provide psychological health of the Moslem.

Moderateness, is domain of actual application, entails several effective human implications, such as, charity, righteousness, environment and wisdom, in obedience to Allah and its Honorable messenger to assert validity of Islam for all time and locations.

المقدمة

إن المتأمل المتدبر لحال وواقع المسلمين اليوم يجدهم شيعاً وأحزاباً يعادي بعضهم بعضاً إلا من عصم الله ، يورثون الأجيال الكثير من الانحرافات العقدية والسلوكية ، يختلفون في الأهداف والغايات ، يبتعدون عن منهج الاعتدال والتوسط الذي رسمه القرآن الكريم ومارسه رسول الله ﷺ ، ويرى الإفراط والتفريط ، والإسراف والتقتير ، مما أضاع أصول الدين ومعالمه ، وأصول العقيدة والتوحيد والعبادة.

والأمة الآن في أمس الحاجة إلى منهج الوسطية لينقذها من الانحراف الذي جلب لها المصائب والنكبات.

ونجد القرآن الكريم قد رسم منهجاً كاملاً في جميع جوانبه أصولاً وفروعاً ، عقيدة وعبادة ، خلقاً وسلوكاً وعملاً.

وقد جاء منهج الوسطية من خلال القرآن الكريم في أساليب عدة تصريحاً وإيماءاً ، جملة وتفصيلاً ، خبراً وإنشاءاً ، أمراً ونهياً ، مقرراً لمنهج الوسطية ، قال تعالى : ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا** ﴾ [البقرة : ١٤٣].

وهي الخاصية التي ميزت الأمة الإسلامية ديناً ونظاماً ، الأمر الذي أكسبها الرشد والاستقامة في مسيرتها الحضارية وحققت للإنسان إنسانيته وكرامته.

هذه الوسطية التي تلائم الفطرة البشرية والتي هي سبب التوازن الذي يريح النفس البشرية التي هي بين ثبات السنن الكونية ومشيئة الله المطلقة ومشيئة الإنسان المحدودة.

مفهوم الوسطية بين التطرف والغلو

مفهوم الوسطية لغةً واصطلاحاً :

الوسطية لغة : يمكن أن تأتي :

(١) اسماً لما بين طرفي الشيء يقال : قبضت وسط الحبل ، جلست وسط الدار.[١]

(٢) وتأتي صفة بمعنى " خيار " وأفضل وأجود ، فأوسط الشيء أفضله ، وأجوده ، كوسط المرعى خير من طرفيه ، ورجل وسط ووسيط " **حسن** ".[٢]

(٣) وتأتي بمعنى عدل ووسط الشيء أوسطه : أعدله.[٣]

(٤) وتأتي بمعنى الشيء بين الجيد والرديء وهو المعتدل.[٤]

ولا يخرج اللفظ من معنى الفضل والخيرية والنصف والبينية والتوسط بين الطرفين قال الأعرابي : علمني ديناً وسطاً لا ذاهباً فروطاً ولا ساقط سقوطاً فإن الوسط هاهنا المتوسط بين الغالي والتالي.[٥]

والوسيط : الحسيب أو الشريف ، ووسيط قومه أي أوسطهم نسباً وأرفعهم محلاً.

والوسيط : المتوسط بين المتخاصمين ، والتوسط بين الناس من الوساطة ، والتوسيط : قطع الشيء نصفين ، سطوع الشمس : توسطها السماء.[٦]

إذن هي تعني الخير والعدل والجودة والرفعة والمكانة العلية وهي كلها معانٍ متقاربة.

الوسط بالتحريك : المعتدل ، يقال شيء وسط أي بين الجيد والرديء.

---

(١) لسان العرب ، لابن منظور ، تحقيق على شيري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ، ط١٤٠٨هـ/ ١٩٩٨م ، مادة وسط ، ١٥/ ٢٩٣ ، ١٦/ ١٠٨.

(٢) المرجع السابق ، ٧/ ٤٣٠.

(٣) انظر لسان العرب ، ٧/ ٤٣٠ ، وكذلك القاموس المحيط ، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، د. ت ، ط١ ، فصل الواو ، ص٨٩٣.

(٤) المصباح المنير لأحمد بن محمد الفيومي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ص٢٥٢.

(٥) لسان العرب ، لابن منظور ، ٧/ ٤٣٠.

(٦) لسان العرب ، لابن منظور ، ٧/ ٤٢٩.

وكيفما تعرضنا للفظة نجدها لا تخرج عن معنى العدل والفضل والخيرية والنصف والبينية والتوسط بين الطرفين.

الوسطية في استعمال الشارع :

قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٢].

وهي تصريح بما فهم من قوله ﴿ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [البقرة : ٢١٣].

وعلى هذا النحو من الهداية جعلناكم أمة وسطاً.

(١) والوسط في الشريعة لا تشدد اليهود وأحبارهم ولا تهاون النصارى.

فمثلاً في باب الطهارة " **اليهود لا تصح لهم صلاة إلا في بيعهم وكنائسهم ولا يطهرهم الماء من النجاسات ، وقد حرمت عليهم الطيبات عقوبة لهم ، ولا النصارى الذين لا ينجسون شيئاً ولا يحرمون ، بل أباحوا ما دب ودرج ، وطهارتهم أكمل طهارة واتمها وأباح لهم الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح وحرم عليهم الخبائث** ".[٧]

(٢) الوسطى : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣٨].

سميت بذلك لأنها متوسطة بين الصلوات الخمس.[٨] وهي صلاة العصر.

الوسطى : الفضلى ، قبلها صلاتان وبعدها صلاتان.

وسطت القوم أوسطهم " **وسطه** " ووسوطاً ، إذا دخلت وسطهم ويقال : للذكر هو أوسطنا وللأنثى هي وسطانا.[٩]

قال ابن كثير[١٠] :

إن أقوال العلماء في المراد بالصلاة الوسطى ثلاثاً :

(١) أوسط الصلاة محلاً.

---

(٧) تفسير الآية ، في ظلال القرآن ، لسيد قطب ، ١/ ١٣١.

(٨) جامع البيان في تفسير القرآن ، للطبري ، تحقيق محمود شاكر ، دار المعارف مصر ٢/ ٥٦٧.

(٩) المرجع السابق ، الطبري ، ٢/ ٥٦٧.

(١٠) البداية والنهاية ، لابن كثير ، ط مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٣٩٤ هـ ١٣/ ٢٨-٣٠.

(٢) أوسطها مقداراً.

(٣) أفضلها.

فالوسطى بمعنى الفضلى، وهي وسط بين الليل والنهار.

أوسط وردت في آيتين: ﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ ﴾ [المائدة: ٨٩].

﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ [القلم: ٢٨].

والأولى جاءت بمعنى أوسطه: أعدله، وقال بعضهم أوسط ما يطعم من أجناس الطعام الذي يقتاته أهل المكفر أهليهم، وإن كان ممن يشبع أهله أشبع المساكين العشرة.[١١]

وقال بعضهم أوسطه في القدر ـ وعدم الإسراف أو الإقتار ـ الأفضل بين القليل والكثير، الجيد والردي، الشدة والسعة.

أما أوسطهم التي في الآية الثانية: أي أعدلهم وقيل هو أعدلهم قولاً وأسرع القوم قرعاً وأحسنهم رجعة.

وقيل أمثلهم وأعدلهم وأعقلهم.[١٢]

إذا بمعنى الأفضل والخيار وهو الأعدل.

فوسطن: ﴿ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴾ [العاديات: ٥].

ذكر العلماء أن معناها التوسط في المكان.

قال الطبري: يقال وسطت القوم بالتخفيف ووسطته بالتشديد معنى واحد.[١٣]

وسطن أي صرن وسطاً، توسطن ودخلن في وسط الجمع[١٤] ففرقنه وشتتنه.

وجاءت الوسطية بألفاظ أخرى في القرآن الكريم تشير إلى معناها منها قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ١١٠].

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٧٧].

---

(١١) تفسير الطبري، ٧/ ١٦-٢٢.

(١٢) انظر القرطبي، ١٨/ ٢٤٤.

(١٣) تفسير الطبري، ٢/ ٢٨٦.

(١٤) القرطبي، ٢٠/ ١٦٠.

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴾ [الإسراء : ٢٩].

هذه المعاني في الاصطلاح شاع استعمالها استعمالاً فضفاضاً يلبس إلى أي وضع أو عرف أو مسلك أراده حتى أصبحت الوسطية في مفهومهم تعني التساهل والتنازل.

قال فريد عبد القادر : من جملة التعريفات السابقة يتعين أن معنى الوسطية خاص ومحدد فهي مؤهل الأمة الإسلامية من العدالة والخيرية للقيام بالشهادة على العالمين ، وإقامة الحجة عليهم ثم قال : أما ما شاع عند الناس وانتشر من الوقوف عند أصل دلالاتها اللغوية ، أي التوسط بين طرفين ومهما كان موضوع هذا الوسط ، الذي تم اختياره – من صراط الله المستقيم ، التزاماً وانحرافاً ، فليس بمفهوم صحيح وفق ما تبينه الآيات والأحاديث النبوية.

ولا يلزم لكل ما يعتبر وسطاً أن يكون له طرفان ، فالعدل وسط لا يقابله إلا الظلم ، والصدق وسط لا يقابله إلا الكذب.[١٥]

فجعل التوسط بين الشيئين دون النظر إلى معنى الخيرية.

والمتأمل في ما ورد من القرآن والسنة والمأثور من كلام العرب فيها أطلق وأريدبه الوسطية يتضح له أن هذا المصطلح لا يصح إطلاقه إلا إذا توفرت فيه صفتان :

(١) الخيرية : أو ما يدل عليها كالأفضل والأعدل والعدل.

(٢) البينية : سواء أكانت حسية أو معنوية.

فإذا جاء أحد الوصفين دون الآخر فلا يكون داخلاً في مصطلح الوسطية فالوسطية ملازمة للخيرية لان كل ما يوصف بالخيرية فهو وسط ، لأنه كل وسطية تلازمها خيرية فلا وسطية دون خيرية ولا العكس ، فلابد من الخيرية مع البينية حتى تكون وسطاً.

الغلو والإفراط :

عرفه أهل اللغة بأنه مجاوزة الحد. قال ابن فارس[١٦]: هي صحيح يدل على الارتفاع ومجاوزة الحد والقدر.

---

(١٥) الوسطية في الإسلام ، فريد عبد القادر ، ص٢٩.

(١٦) معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١١هـ ١٩٩١م ، ٤/ ٣٨٧.

غلا السعر يغلو غلواً وذلك ارتفاعه ، وغلا الرجل في الأمر غلواً إذا جاوز حده ، وغلاه سهمه غلواً إذا رمى به سهماً أقصى غايته.

وغلا في الدين يغلو غلواً : جاوز حده. وفي التنزيل : ﴿ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ [النساء : ١٧١].(١٧)

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ [النساء : ١٧١]

وقد تجاوز النصارى الحد في عيسى عليه السلام حيث رفعوه من منزلته التي أعطاها له الله حين نقلوه من خير النبوة إلى إله يعبد مع الله تعالى وغلو في اتباعه. قال تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣٤].

الآية : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة : ٧٧].

قال الطبري(١٨): **" لا تفرطوا في القول فيما تدينون به من أمر المسيح فتجاوزوا فيه الحق إلى الباطل فتقولوا فيه هو الله أو هو ابنه ، ولكن قولوا هو عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه "**. والنصارى أكثر غلواً في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف.

لا تغلوا : لا تجاوزا الحد في اتباع الحق ولا تبالغوا حتى تخرجوه من خير النبوة إلى مقام الألوهية.

وقد عرف ابن حجر(١٩) الغلو بأنه : **" المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد "**.

معنى التطرف :

هي من الكلمات التي راجت وأصبح لها مكان الصدارة في وسائل الإعلام المختلفة، وتحظى بجذب انتباه المشتغلين بأمر الدعوة إلى الله لما لها من علاقة بمستقبل هذا الدين والأمة الإسلامية.

---

(١٧) راجع لسان العرب ، ١٥/ ١٣٢.

(١٨) تفسير الطبري ، ٦/ ٣١٦.

(١٩) فتح الباري ، لابن حجر ، البابي الحلبي ، ١٣٧٨هـ ، ١٣/ ٣٧٨.

وقد أضحى ما يعرف بالتطرف الديني القضية الأولى التي تشكل حلبة الصراع بين السياسيين الغربيين والدول الإسلامية وعلى ضوئها صنفت الدول ما بين موالٍ للغرب ومعادٍ له.

وقد وصف الإعلام الغربي المسلمين بالرجعية والتخلف والبداوة والإرهاب ، والقسوة والعنف والقبلية والطائفية دون مراعاة للمسلمين في محاولة منهم لجر المسلمين لمعارك جانبية تستنزف طاقاتهم المحدودة.

التطرف لغة :

من مادة طرف يقول ابن فارس : الطاء والراء والفاء أصلان :

الأول : يدل على حد الشيء وحرفه.

الثاني : يدل على حركة في بعض الأعضاء.[٢٠]

والذي يفهم من المعنى الأول أن الطرف هو الناحية من النواحي والطائفة من الشيء نقول طرف الثوب ناحيته.

يقول ابن منظور في لسان العرب تطرفت الناقة : إذا رعت ، طراف المراعي ولم تختلط بالنوق ، وطرف فلان إذا قاتل حول المعسكر ، لأن يحمل على طرف منهم فيردهم إلى الجمهور ، فطرف كل شيء منتهاه.[٢١]

ويقال الطرف : ما يؤخذ من أطراف الزرع ، وجاء في المعجم الوسيط تطرف تجاوز حد الاعتدال.[٢٢]

ومن هنا فإن التطرف مأخوذ من الطرف ، والتطرف هو الذي يترك الوسط ويأخذ موقفاً في أقصى الطرف من الأقوال والأفعال.

ومن الكلمات المرادفة الغلو والتشدد :

قال ابن منظور : أصل الغلو : الارتفاع ومجاوزة القدر في كل شيء.

---

(٢٠) معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس ، ٣/ ٤٤٨.

(٢١) لسان العرب ، لابن منظور ، ٩/ ٢١٦-٢١٧.

(٢٢) المعجم الوسيط ، مادة غلو ، دار إحياء التراث العربي ، قطر ، الدوحة ، بدون طبعة ، ٢/ ٥٥٥.

فلفظي التطرف والغلو متقاربان في المعنى اللغوي فكليهما يعني الارتفاع والزيادة ومجاوزة الأصل الطبيعي أو الحد المعتاد أو الإفراط أو التشدد.

التطرف في المعنى الاصطلاحي :

وهو من الألفاظ التي اختلف في تحديد معناها لذلك لابد من معيار لضبط المصطلح وإلا كان هنالك اختلاف كبير في الحكم على اللفظ.

والمعيار هنا كتاب الله وسنة رسوله الكريم ، وإذا تتبعنا كتاب الله وسنة رسوله لا نجد كلمة التطرف ولكن توجد كلمة الغلو والتشدد.

والتعبير الذي ورد عند الشارع أولى ، وذلك للحفاظ على أصالة الفكر الإسلامي ، فإن الغلو والتطرف : **" هو مجاوزة الحد في الأمر المشروع وذلك بالزيادة فيه ، أو المبالغة فيه بالحد الذي يخرجه عن الوصف الذي أراده أو قصده الشارع العليم الخبير ".**[٢٣]

وهو إلزام النفس أو الآخرين بما لم يوجبه الله تعالى عبادة وترهبا ، ومقياس ذلك الطاقة الذاتية ، حيث إن تجاوز الطاقة في أمر مشروع يعتبر ذلك غلواً وتطرفاً.[٢٤]

وقيل الإغراق الشديد في الأخذ بظواهر النصوص الدينية غير المسلم بمقاصدها ، وسوء الفهم لها.

وعرفه ابن حجر : بأنه المبالغ في الشيء التشدد فيه بتجاوز الحد.[٢٥]

وقد قال ﷺ : **" إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة ".**[٢٦]

أما النظرة الغربية لمفهوم التطرف فإنها تنطلق من مفاهيم الحرية الشخصية ، وحرية التفكير المطلقة ، وإن كان دين المعابد ليس له علاقة بحياة الناس السلوكية ، أو الاجتماعية أو الاقتصادية ، لذلك فهم يعتبرون المسلمين وهم يصلون ويقراؤن القرآن ، ويحرمون الربا ،

---

(٢٣) الوسطية في القرآن ، د. على محمد الصلابي ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م ، ص٦٠.

(٢٤) مشكلة الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرين ، د. عبد الرحمن اللوتجو ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٦-١٩٩٦م ، ص٨٣.

(٢٥) فتح الباري ، ابن حجر العسقلاني ، ١٣/ ١٧٨.

(٢٦) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب في الدين يسر ، ، بيروت ، لبنان ، تحقيق ديب البغا ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م ، حديث رقم ٣٩ ، ١/ ٢٣.

يمارسون التطرف ، وأصبح هذا المصطلح يطلق على كل ملتزم يقيم دينه عبادة وشريعة وسلوكاً وعلى كل من دعا للدين.

حاجة البشرية إلى الوسطية

حاجة البشرية إلى الوسطية من حيث موازين القيم الأخلاقية :

الوسطية هي السمة البارزة التي ميزت الأمة الإسلامية عن سائر الأمم ديناً ونظاماً الأمر الذي أكسبها الرشد والاستقامة في مسيرتها الحضارية ، والقيم تعتبر المعيار الأسمى الذي تقاس به العناصر الروحية والمادية والعقلية والأخلاقية ، كما أن لها وظائف عديدة تنعكس على سلوك الفرد قولاً وعملاً كما ينعكس أثر الالتزام بها على الأمة كذلك.[٢٧]

فالقيم هي المنهاج الضابط لهذه الوسطية التي تستمد من عقائد الأمة الإسلامية وثقافتها وتاريخها وروحها العامة.

والقيم في اللغة :

القيمة : واحدة القيم وهي ثمن الشيء بالتقويم تقول : تقاوموه فيما بينهم ، وإذا انقاد الشيء واستمرت طريقته فقد استقام لوجهه.

والقيم جمع قامات وهو قويم ، وقوام كشداد حسن القامة والقيمة بالكسر ، وماله قيمة بالكسر ، وماله قيمة إذا لم يدم على شيء ، وقومت السلعة : ثمنتها ، واستقام : اعتدل ، وقومته : عدلته فهو قويم مستقيم وهو نظام الأمر وعماده وملاكه.[٢٨]

إذن القيم في اللغة لها عدة معان :

(١) نظام الأمر وعماده.
(٢) توفية الشيء حقه.
(٣) الاستقامة والاعتدال.
(٤) قيمة الشيء وثمنه.
(٥) الثبات والدوام والاستمرار.

---

(٢٧) انظر معلمة الإسلام ، المجموعة الثانية ، أ. أنور الجندي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ-١٩٩٢م ، ص١٧١ بتصرف.

(٢٨) انظر لسان العرب ، ابن منظور ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م ، وكذلك القاموس المحيط ، للفيروزآبادي ، دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، ٤/ ١٧٠.

ولعل أقرب المعاني إلى ما نقصده هو : الثبات والدوام والاستمرار الذي يعني الأمر الثابت الذي يحافظ عليه الإنسان ويداوم على مراعاته.

أما القيم في الاصطلاح :

فهي صفات أو مُثل تقام عليها الحياة البشرية ، فتكون بها حياة الإنسان وتغاير بها النظم والأفعال ، لتعرف قيمها الإنسانية من خلال ما تمثله منها.[٢٩]

والقيم هي : مجموعة من الأحكام المعيارية المتعلقة بمضامين واقعية يتشربها الفرد من خلال انفعالاته وتفاعله مع المواقف والخبرات المختلفة ، تتجسد في سياقات الفرد وسلوكه واتجاهاته ومعتقداته.[٣٠]

وعرفها آخرون بأنها عبارة عن مفهوم أو تصوير ظاهر أو ضمني يميز فرداً أو جماعة ، يحدد على أساسه المرغوب فيه والمرغوب عنه ، فيندفع الفردنحو العمل والعطاء ونقاوة النفس وسماحة القلبوالإرادة الخيرة.[٣١]

أما القيم من منظور إسلامي : فهي مجموعة المعايير والأحكام النابعة من تصورات عن الإله والكون والحياة الإنسانية كما صورها الإسلام تتكون لدى الفرد والمجتمع من خلال التفاعل مع المواقف والخبرات المختلفة ، بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته تتلاءم مع قدراته وإمكانياته وتتجسد من خلال السلوك العملي بصورة مباشرة أو غير مباشرة. وتكون مستمدة من الثوابت الإسلامية.

والتعريف الجامع لمفهوم القيم الإسلامية أنها هي : الحكم الذي يصدره الإنسان على شيء ما مهتدياً بمجموعة من المبادئ والمعايير التي ارتضاها الشرع ، محدداً المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك.[٣٢]

---

(٢٩) القيم بين الإسلام والغرب ، د. مانع على المانع ، رسالة دكتوراه ، دار الفضيلة الرياض ، السعودية ، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م ، ص١٥.

(٣٠) فلسفة القيم ، نازلي إسماعيل ، القاهرة ، مصر ، ١٣٨٩هـ-١٩٧٩م ، ط١ ، ص٣.

(٣١) القيم السياسية في الإسلام ، د. إسماعيل عبد الفتاح ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، مصر ، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م ، ط١ ، ص١٥.

(٣٢) الثقافة الإسلامية الماضي والحاضر والمستقبل ، أ. د محمد زين الهادي العرماني (مخطوط) ، ٦٨/١.

والقيم في الإسلام أنواع[٣٣] :

(١) القيم العليا : وهي الكلية الكبرى ، أو المطلقة المرتبطة بالأصول كالقيم العقدية ، وقيم العبادات ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهي من أرقى القيم وأسماها وأعلاها ، فهي ثابتة لا تتغير بتغير الزمن ولا الأحوال ولا مجال للاجتهاد فيها ، وما على المسلم إلا الفهم والوعي والتسليم والعمل بمقتضاها

(٢) القيم الخلقية : وهي المتعلقة بتكوين السلوك الفاضل عند المسلم ليصبح سجية وطبعاً يتخلق به ويتعامل به مع الآخرين كالأمانة والصدق والأخوة والرحمة... الخ.

(٣) القيم الحضارية : وهي المرتبطة بالبناء الحضاري للأمة الإسلامية متمثلة في التقدم العقلي والمادي وهي ذات طابع اجتماعي عمراني ، كالشورى والمسئولية والعدل والمساواة والحرية.

أما القيم في الفكر الغربي :

فقد تعددت تعريفاتها بتعدد المدارس والمذاهب العلمية وتباينت وجهات النظر حول هذه المفاهيم ، إلا أن هنالك صيغة مشتركة تجمع عليها كل نظرياتهم في تعريفه القيم وهي : أن القيم محطات ومقاييس يحكم بها على الأفكار والأشخاص والأشياء والأعمال والموضوعات والمواقف الفردية من حيث حسنها وقيمتها والرغبة فيها ، أو من حيث سوءها وعدم قيمتها وكراهيتها ، فهي تعني في مضمونها ما يتميز به الشيء عملاً أو شخصاً أو نظاماً من صفات تجعله مستحقاً للتقدير والثناء أو للذم والاحتقار.[٣٤]

وقد استمد الغرب الحديث قيمه من الفكر اليوناني والروماني القديم ويرون أن واضع هذه القيم هو سقراط ، واضع الاتجاه العقلي في الفلسفة الخلقية موضوعاً ومنهجاً ، وأن قاعدته أن المعرفة هي الفضيلة وأن الجهل هو الرذيلة.

---

(٣٣) راجع ، معلمة الإسلام ، المجموعة الثانية ، في تصنيف القيم وتقسيمها ، أنور الجندي ، ص١٧٥.

(٣٤) انظر فلسفة التربية ، د. ماجد عرسان الكيلاني ، مؤسسة الريان للطباعة ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م ، ط١ ، ص٣٣٧.

وهذا المذهب العقلي ينكر الوحي الإلهي والمعجزات وخوارق العادات بخلاف الأديان السماوية ويرون أن المرجع الوحيد في تفسير كل شيء في الوجود هو العقل ، وأن العقائد تختار بمعيار العقل الذي هو نقص الخرافة والإيمان الساذج والتعصب.[٣٥]

مثله مثل المذهب الوجودي الذي يعلي من قيمة الإنسان ويغلو فيه ويبالغ في التأكيد على تفرده وأنه هو صاحب التفكير وحرية الإرادة والاختبار ولا يحتاج إلى موجه ، وهو مذهب إلحادي.

فمفهوم القيم في الفكر الغربي يتعارض تماماً مع مفاهيم الإسلام لهذه القيم وقد جاءت واضحة في الإسلام منضبطة بضابط الشرع والوحي الرباني في القرآن والسنة النبوية ، أما في الغرب فقد ثبت غموضها وتخبطها في فهم طبيعتها وتحديد مصدرها وردها البعض إلى العقل والبعض إلى التجربة ، ويهدف الفرد من سلوكه الخلقي إلى الحصول على السعادة المادية والمنفعة الدنيوية.

وقد جاءت حاجة البشرية إلى وسطية موازين القيم المستمدة من مبدأ التوحيد باعتباره النواة التي تجمع اتجاهات المسلم وسلوكياته حتى يصل لهدفه في الحياة ، فالقيم الإسلامية خالدة وصفتها الاستمرارية ، تحمي الإنسان من كل ما يدمره أو يحطمه ويحرره من الأساطير والانحرافات.

وقد جاءت وسطية هذه القيم في أنها ليست فكراً روحياً خالصاً ولكنها تجمع بين الروح والمادة وهدفها سعادة الإنسان في الدنيا والفوز والنجاة في الآخرة دون انحلال ولا إباحية وعبادة للأجسام والمادة ، وهذا هو الصراع الذي تعيش فيه المجتمعات الغربية صراع دائم بين الفردية والجماعية ، وأن المادة وحدها هي معيار القيم مما أدى إلى تدمير الإنسانية وإذلالها واستعبادها دونما رحمة.

أما الإسلام فقد وضع نظاماً للقيم يتعلق بالارتقاء بالإنسان كخليفة في الأرض ورفعه من العبودية لغير الله تعالى وحماه من الاستعباد للشهوات والملذات فقد وازن بين القوى المادية والروحية وأقام منطقة وسطى بين الإفراط والتفريط بعيداً عن الزهادة المعطلة وعن الترف المفسد ، ويوازن بين مطالب الدنيا والآخرة ودعا للتوسط للاعتدال ، وجعل كمال الإنسان في تكامل قيمه.

---

(٣٥) انظر الموسوعة الفلسفية ، د. عبد المنعم حنفي.

حاجة البشرية إلى الوسطية في بعدها الاجتماعي :

لقد جاء الإسلام بقيم حضارية تحقق للإنسان إنسانيته وتحفظ كرامته وتضمن فعاليته في جميع المجالات الاجتماعية منها والسياسية والاقتصادية وتجعله فرداً مشاركاً في جميع مجالات التقدم والإبداع والعطاء. صانعاً مجتمعاً متماسكاً متآلفاً يحمل كل عناصر القوة والحيوية حتى يقدم للعالم حضارة زاهرة ومدنية راقية وقوانين راسخة في جميع جوانب الحياة.[٣٦]

وقد جاءت وسطية الإسلام في بعدها الاجتماعي تحقق لنا أفضل الأسس والأنظمة التي تحكم مسار المجتمعات وتبني لنا العلاقات مع المجتمعات الأخرى سلماً وحرية وتبادلاً للمنافع.

ومن أهم هذه الأنظمة التي اعتمد عليها المجتمع الإسلامي : العدل ، والشورى ، والحرية والمساواة.

(١) العدل :

هو العدل والقسط والعدالة وهي تعبر عن العدل بأوسط معانيه وهو أساس الإسلام. وهو روح الأمة وسر سعادتها وازدهارها وتقدمها فهي قيمة ترشد إلى المنهج القويم والصراط المستقيم وهي الغاية التي أرسل الله تعالى رسله لتحقيقها وهي الطريق لبناء المجتمع المسلم المستقيم.

والعدل في الإسلام ليس مجرد القضاء وأحكام القضاة بل يؤخذ بمعناه الواسع ، فهو يعني العدالة في تطبيق القوانين ، والعدالة في الخصومات بين الناس وعدالة توزيع الثروات.

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٢]. وقال كذلك : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء : ٥٨].

---

[٣٦] راجع الإسلام والسياسة ، د. حسين فوزي النجار ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م ، ص٩٨.

وقد جاءت هذه الآيات لتؤمن المجتمع من كل جوانبه وتحقق العدالة والتوزان حسب القواعد التي رسمها الإسلام.

والعدل في الإسلام مبدأ مطلق شأنه شأن سائر القيم الخلقية والاجتماعية يسري على الحاكم والمحكوم، القوي والضعيف، المسلم وغير المسلم، ولا تؤثر فيه إقامته البغضاء بين الأقوام، ولا يميل ميزان بفعل الحب، ولا تغير قواعده المودة ولا تغير المكان والزمان.[٣٧] هو الأساس الذي قامت عليه عمارة الكون، وصلاح العباد، وقد حذر رسول الله ﷺ من مخالفة العدل، و بين ذلك عملياً في حديث المرأة المخزومية التي سرقت وأرادت قريشاً أن يجتريء أسامة بن زيد ليكلم فيها رسول الله ﷺ فجاء قول رسول الله ﷺ قاطعاً: " **أتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام فخطب ثم قال: إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها** ".[٣٨]

وقد كان لعدالة الإسلام دور على الصعيد الاجتماعي حيث تؤثر في تشكيل شخصية الإنسان، حيث إن في قيمة العدل حفظاً لتماسك المجتمع بوقاية الإنسان من الأنانية المفرطة والنزاعات والأهواء والشهوات التي مصدرها الظلم.

وكذلك في المحيط الدعوي حيث إن الإسلام دعى للمجادلة بالحسنى وعرض الدعوة بالإقناع بالحجج المنطقية وليست بالقوة.

وبهذه العدالة يتساوى الناس في الحقوق والواجبات وتتلاشى جذور العنصرية التي أرسى دعائمها الغرب حيث قرر الإسلام وحدة الأصل لجميع البشر ولا مجال للاستعلاء القومي ولا العرقي لجنس على آخر، ولكن مقياس التفاضل عنده هو التقوى. ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهَّ أَتْقَاكُمْ** ﴾ [الحجرات: ١٣].

---

(٣٧) انظر العدالة الاجتماعية في الإسلام، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، ط٢، ص٩٢.

(٣٨) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب حديث النار، ، حديث رقم ٣٢٨٨، تحقيق مصطفى ديب البغا، طبعة ١٤١٠هـ-١٩٩١م، ٣/ ١٢٧٨.

(٢) الشورى :

وفي اللغة هي : التشاور والمشاورة ، وهي استخراج الرأي بمراجعة البعض إلى البعض ، وهو الرأي يعطى عند الاستشارة ، فهي النصيحة يشار بها.[٣٩]

وفي الاصطلاح هي : استطلاع رأي من ذوي الخبرة فيه للتوصل إلى أقرب الأمور للحق.[٤٠]

والشورى من القيم الخالدة في الإسلام هي قاعدة من قواعد الحكم فيه وهي مشتقة من الإجماع الذي يعتبر أصلاً من أصول الأحكام الشرعية وهي أساس ودعامة النظام السياسي الإسلامي ، وهي من الصفات المميزة للمسلم ومحيطها أوسع وأعمق من الحكم وشئون الدولة.

وهي طابع الحياة العامة ، وقد أثنى تعالى على عباده الذين اتصفوا بها وقرنهم بمن أقاموا الصلاة وأنفقوا في سبيل الله ، قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ** ﴾ [الشورى : ٣٨].

وقد نزلت آيات الشورى في وقت مبكر على رسول الله ﷺ كأمر إلهي ليدل ذلك على مكانتها في المجتمع الإسلامي ، فإذا كان قد أمر بها أرجح الناس عقلاً رسول الله ﷺ وأقواهم رأياً ، فالأمر في حق غيره آكد وأوجب ﴿ **وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾ [آل عمران : ١٥٩].

والخير كل الخير في تربية الأمة والأفراد على الشورى دون العمل برأي الفرد وتفويض الأمر لرجل واحد ، فالشورى من القيم الإسلامية الملزمة فهي كأصل تأتي من قبيل المحكم الثابت الذي لا يجوز تجاهله وإهماله وهي كذلك من القيم الحضارية التي تتجلى فيها وسطية الإسلام واعتداله من حيث الممارسة والتطبيق ، ووسائل تحقيقها إن الأمة المسلمة بوسطيتها تعلم قدرات أبنائها وذوي الاختصاص منهم كل في مجاله وتخصصه فهو المرجعية للحاكم لأخذ الرأي منهم ، فهم الوسيلة الدائمة في نظر الإسلام لمعرفة ما تسوس به الأمة أمورها مما لم يرد في المصادر الشرعية ويحتاج إلى اجتهاد.[٤١]

[٣٩] لسان العرب ، ابن منظور ، ٤/ ٤٣٦.

[٤٠] القيم السياسية في الإسلام ، د. عبد الفتاح إسماعيل ، ص١١٩.

[٤١] راجع تفسير المنار ، للشيخ محمد رشيد رضا ، ط دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ٤/ ١٦٦.

فمن مظاهر الوسطية في الإسلام أن يستشار في أمور الدين أهل الاختصاص من علماء الدين ، وفي شؤون العمران المهندسون ، وفي شؤون الصناعة خبراء الصناعة ، وهكذا تبنى الأمة الراشدة في كمالها ورقيها. مما يبرز لنا سمو الإسلام في أهدافه ووسطيته في تطبيق مبادئه والحرية التامة لإبداء الرأي والأخذ به ، والتي تعود على الأمة بالخير والبركة ويتأصل بها مبدأ الحوار المفتوح وترقى بها أساليب العمل العام وتعزز أواصر الصلات بين الحاكم والمحكومين حتى تسود الثقة والحب والإخاء.

(٣) الحرية :

الحرية مفتوحة ومتاحة في إطار مقاصد الإسلام العامة وسلبها سلب لإنسانية الإنسان.

وهي تعني الانطلاق من القيود ولكن ليست على الإطلاق لأن هذه الحرية تنافي التدين ، لأن التدين التزام وقيود بمناهج ومبادئ لذلك جاء الإسلام معلناً للحرية التي تكفل للإنسان كرامته المقيدة بشرع الله تعالى ، فالتشريع الإلهي جعل عبادة الله تعالى هي محض التكريم ومحض الحرية.

فكرم الله تعالى الإنسان ومنحه حرية التفكير والمعتقد ولن يقبل من أحد سوى الإسلام ديناً ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهَّ الْإِسلام** ﴾ [آل عمران : ١٩] ، ﴿ **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسلام دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [آل عمران : ٨٥].

وقد أقر جل شأنه حرية العقيدة الدينية داخل المجتمع الإسلامي فليس للمسلمين الحق في إكراه أهل الكتاب على اعتناق الإسلام الأمر الذي لم ترق إليه الأديان ولا النظم المعاصرة ، وكفل لهم اعتناق أديانهم مع ترك المجال لهم ليتفكروا ويتأملوا بحرية لتقودهم فطرتهم إلى الإيمان وإدراك عظمة الإسلام.

وتتسم الحرية في الإسلام بالعمومية ، والشمول ، ومن خصائصها الكمال لاتصافها بصفة مشرعها الله عز وجل ، كما أنها ليست مطلقة في النظام الإسلامي وإنما هي مقيدة بعدم الإضرار بالجماعة تطبيقاً لمبدأ " **لا ضرر ولا ضرار** " ، وبها يوضع الإنسان عند الله تعالى في مكانه الذي كرمه به.

والوعي بمضمون هذه الحريات التي كفلها الإسلام من معتقد ، وحريات معنوية ، واقتصادية ، وتملك وغيرها تقود إلى أن مستقبل البشرية في المحافظة عليها ، ووسطية الإسلام وسماحته ويسره ترفع القيود عن الإنسان وتحرر حركته المعنوية والمادية من الأغلال التي يفرضها أولئك الذين دمروا البشرية باسم الحريات الزائفة التي أساسها الفلسفات والتيارات الفكرية والأدبية المعادية لله تعالى ولكل دين سماوي.

الحرية تعني حق الإنسان في الحياة في مجتمع دون قيود تحط منه أو تضعفه دون الإضرار بحقوق الآخرين ، فلا حرية كاملة يفعل فيها الإنسان ما يريد وقتما يريد وأينما يريد ، بل نشاط الإنسان محدد بعلاقته بمجتمعه وفق سلوك أخلاقي منضبط بضابط شرع الله تعالى حتى لا تكون الحرية وسيلة للفوضى وتمزيق كلمة الأمة بل وسيلة للنمو والارتقاء وتحقيق الأمن والسلام للمجتمعات الإسلامية.

يتضح من كل ذلك أن الإسلام بهذه القيم " **العدل ، الحرية ، الشورى** " ، يقدم نظاماً وسطاً متكاملاً ديناً ودولة ، عبادة ومعاملة ومنهجاً للحياة ينظم علاقة الحاكم بالمحكوم وعلاقة الفرد بالجماعة ، وتضبط شريعة الإسلام مسار هذه العلاقات بيسرها وسماتها ووسطيتها التي توازن ين الكيانين المادي والروحي ، واحترام حقوق الأفراد والجماعات ، حيث لو طبقت البشرية هذه القيم لقادوا العالم وسادوا.

(٤) المساواة :

غرس الإسلام في المحيط العالمي فيه قيمة من قيمه الإنشائية ألا وهو المساواة ، فالناس جميعاً متساوون في الحقوق والواجبات ، قال رسول الله ﷺ : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى ".[٤٢]

وقد امتدت أبعاد هذه المساواة إلى مواطن متعددة حاطها الإسلام بسياج من القوانين والتشريعات ، وقد التزم فيها بمبدأ المساواة الكاملة بين الناس.

---

[٤٢] مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للحافظ الهيثمي ، ٣/ ٣٣٦.

* ففي موطن الأصول والتفاخر بالنسب يقف الإسلام مشرعاً وواضعاً لأصول جديدة ، وقد كان العرب في جاهليتهم يتفاخرون بالآباء والأجداد ، فأذهب الله عنهم هذه النخوة وجعل كل الناس لآدم وآدم من تراب.(٤٣)
* وفي موطن اللون والجنس وعدم المساواة بسببهما حارب الإسلام هذه النزعة وقد حوت دساتير العالم نصوصاً وقوانين قاطعة في المساواة ولكنها لا تنفذ وتسود التفرقة ، وستظل قائمة ما لم يؤخذ من روح الإسلام وقوانينه.
* وفي موطن الصفات والألقاب الاجتماعية نجد أن الإسلام هو الشريعة الوحيدة التي استطاعت أن تحيل قيمها الروحية إلى أفضل خلق من السلوك الأمثل باعتباره واقعاً ملموساً والانسجام بين القيمة والواقع ، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ [الحجرات : ١٣].

لا تفرقة في طلب علم ولا تولي مناصب ، ولا يفضل الإنسان على غيره إلا بمقدار ما يؤديه من خدمة للدين والمجتمع.

* وفي موطن العبادة نرى صباح مساء مظهراً من أروع مظاهر المساواة بين الناس وذلك أثناء صلاتهم ، وحجهم ، حيث يقف المسلم إلى جانب أخيه المسلم ملاصقاً له ، والاتجاه والقبلة واحدة إلى رب واحد ، لا فرق بين غني وفقير – عظيم وحقير – كلهم سواسية كأسنان المشط.
* وفي موطن القانون هي مساواة أمام الشرع وأحكام الإسلام فالحلال حلال للجميع والحرام حرام على الجميع ، والعقوبات مفروضة على الجميع ، وأن مسئولية المرأة كمسولية الرجل من الجهة الدينية ، فكل مكلف بالعقيدة ذاتها ، ولكل جزاء ما اكتسب من خير أو شر ، وأروع مثال على ذلك قول الرسول ﷺ : " **وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا** ".(٤٤)

---

(٤٣) الفكر الإسلامي ، مبادئه ومناهجه قيمه وأخلاقياته ، محمد الصادق عفيفي ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٧٧م ، ص١٩٣.

(٤٤) صحيح البخاري ، ٦/ ٢٤٩١ ، حديث رقم ٦٤٠٦.

* وكانت بعض الحضارات مثل الرومانية والأكاسرة ، ملوك فارس ، ترفع من شأن الإنسان المفكر وتضع العامل وهم الفئة العظمى من سواد الشعب في درجة ثانية ، ويصبحون سادة وعبيداً ، والعبيد يقلون في مرتبتهم الإنسانية من الأشراف ، فلما جاء الإسلام لم يقر هذه الأوضاع ، فكما حرر الإنسان من فكره وعقيدته حرره من عبوديته لنفسه ولغيره ، ومن عبوديته لسادته وهذه النزعة العادلة هي القيمة التي احتضنها الحكام والقضاة وطبقوها على الناس.

تلك هي الديمقراطية الصحيحة التي تحدثنا بلغة العصر قولاً وفعلاً ، أما الديمقراطية الخادعة التي جعلها الغربيون صورة مشوهة ، فهي ليست من الإسلام في شيء ، فالحضارة الغربية أعلنت المساواة مبدأ وفكرة ، ولكنها عجزت عن تحقيقها في مجتمعاتها ، فلا زالت مشكلة التمييز العنصري حية وقائمة نقرأ ونسمع عنها في جنوب أفريقيا ، وفي الولايات الأمريكية التي فرقت بين الأبيض والأسود حتى في مقام التعبد ، وجعلت للبيض كنائس مستقلة ، وللسود كنائسهم الخاصة.

أما مبدأ المساواة في الإسلام فإن الإسلام يحترم الإنسان ويكرمه من حيث هو إنسان ، من أي سلالة كان ومن أي لون كان ، من غير تفرقة بين عنصر وعنصر وبين قوم وقوم ، وبين لون ولون ، مسقطاً كل أنواع التفرقة القبلية والعنصرية والقومية.

فكل المؤمنين أخوة فلا اعتبار في تقديم الناس أو تأخيرهم ، بل الواجب إنزالهم منازلهم ، وإعطاء كل ذي حقه حقه دون نظر إلى الاعتبارات الطبقية. وأكد ذلك عملياً بجملة أحكام وتعاليم نقلته إلى واقع ملموس في الشعائر التعبدية والأركان العملية.(٤٥)

---

(٤٥) الخصائص العامة للإسلام ، دكتور يوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١٠ ، ١٩٩٧م ، ص٩٤-٩٧.

حاجة البشرية إلى الوسطية في بعدها السلوكي :

لابد أن السلوك السوي يقوم على فكرة التوازن أو الوسطية بين جميع الأطراف والتوازن هنا لا يعني احتلال نقطه متوسطة بين طرفين وإنما يعني الجمع بين محاسن الطرفين دون عيوبهما ، والتوازن هو السمة الرئيسية التي تميز الشخصية الإسلامية لأنها تعتمد على تحقيق التوازن بين جوانب النفس الإنسانية المختلفة ويدفع النزعات المتقابلة في الطبيعة البشرية مثل الخوف والأمل و الحب الكره.

و الجوانب الحسية والجوانب المعنوية ، وكذلك إحداث التوازن بين الفرد والمجتمع والكون.[٤٦]

وهذا السلوك المتوازن المتصف بالوسطية يقوم على الإيمان و التجارب والفاعلية بحيث يكون المسلم عنصر بناء وعمارة تكون ، ولقد خلق الله تعالى الإنسان من طين يمثل الجوانب المادية لديه ومن روح تمثل الجوانب الروحية والوجدانية فيه ولا تعمل الشخصية بتوافق وانسجام إلا بالتكامل بين المادة والروح دون عمل جانب دون. الاخر وقد قال تعالى (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسان مِنْ طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ) [السجدة : ٧-٩].

والمسلم مكلف برعاية حاجاته الشخصية بتوازن بلا إفراط أو تفريط ويقرر وجود حاجاته ودوافعه ويدعو لإشباعها باعتدال دون تفريط ولا إفراط ، وكذلك يدعو الإسلام لإحداث التوازن بين حاجات الفرد وحاجات المجتمع ويدعو الفرد لمراعاة حقوق الآخرين ، قرابة ، وجيران وحقوق الإنسانية كافة مما يضفي تكاملاً على شخصية الإنسان من خلال التكافل من إحسان وزكاة وبر قال تعالى ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ... ﴾ [البقرة : ١٧٧].

---

[٤٦] المدخل الل الصحة النفسية ، د. محمد صالح عبد الرؤوف ، د. السر أحمد سليمان ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط ١ ١٤٢٧/ ٢٠٠٦م ، ص ٢١ ـ ٣٨ (بتصرف)

فينظر للسماء نظرة تفكر وتدبر وينظر للأرض. نظرة إعمار ويكون متكاملا في نظرته للأشياء المحيطة به .

إذن هناك معالم للسلوك المبني على الإيمان في الإسلام مثل الشعور بالأمن والضبط الانفعالي والتوازن السلوكي الذي يؤدي للفاعلية في الحياة وهذا السلوك السوي والتكامل في الشخصية المسلمة لا يتأتى إلا بالتوازن والوسطية بين الحاجات المختلفة ، والتوازن بين حاجات الفرد والمجتمع ، وجعل عمارة الأرض هي أساس التعامل مع البيئة ، وكذلك التوازن بين الجانب الجسمي أو العقلي والروحي الذي يؤدي للتوافق الذاتي الذي يضمن للإنسان المسلم حسن التوافق والتكيف في سلوكه تجاه الاخرين مما يؤدي لرضاهم عنه ورضاه عنهم وتتسم العلاقة بالحب والوئام والود و العفو والتسامح والثقة والاحترام .

إذن التوازن والوسطية السلوكية مهمة جدا للبشرية جمعاء وبها يتحقق أمن المجتمعات وهي هدف وقائي من العيش في ضغوط وأزمات وإحباطات وصراعات حتى نضمن مجتمعاً سليماً ومعافى من أي أزمات سلوكيه .

حاجة البشرية إلى الوسطية في بعدها النفسي :

النفس الإنسانية كذلك تحتاج للتوازن على أن تكون من المسلمات التي ينبغي أن تكون حاضره في عقيدة كل مسلم تعرضه للابتلاءات المختلفة سواء أكانت عضويه أم نفسية قال تعالى ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة : ١٥٥].

فهذه الصدمات النفسية والحياتية التي يتعرض لها المسلم لابد أن تكون متوقعة فلا يستسلم بل يسعى للشفاء منها والاطمئنان من ان الله تعالى سيشفيه فلكل داء دواء . وذلك بتلمس الأسباب سواء أكانت عضوية أم نفسية ومعالجتها ومن ثم تحتاج إلى توجيه أو إرشاد نفسي .

ويتضمن العلاج النفسي في ضوء الإسلام(٤٧) أسلوباً فريداً من الأساليب العلاجية ، وهو الأسلوب الروحي و يتفرد به الإسلام عند علم النفس الحديث وذلك بتلاوة القرآن

(٤٧) المدخل إلى الصحة النفسية ، مرجع سابق ص ١١٧ ، ١٧٢ .

والأذكار والأدعية والرقية وهو اسلوب وقائي من الاضطرابات النفسية قال تعالى ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا ﴾ [الإسراء : ٨٢].

وقد كان رسول الله ﷺ يسأل الله العفو والعافية ويستعيذ بالله من الهم والغم والحزن وسيء الأسقام والمعافاة في الدين والدنيا .

والإنسان التقي يمتاز بامتلاكه لمجموعة من الخصائص والممارسات التي تقود للصحة النفسية بأشكالها المختلفة فالإيمان له علاقه مباشره وقوية بالصحة النفسية لأنه يؤدي للأمن النفسي وقد قال تعالى ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام : ٨٢].

ولا شك ان لإشباع الجانب الروحي في شخصية الإنسان والتي بها التكريم والتشريف للإنسان أكبر الأثر في تنمية الصحة النفسية ، فالروح تمتزج بالجسم من بدايات تكوين الجنين وتستمر معه حتى الموت ، ودافع التدين والإيمان هو دافع نفسي له أساس فطري في طبيعة التكوين الإنساني، بمعرفة الخالق وعبادته والتوسل إليه والالتجاء إليه كلما اشتدت عليه مصائب الحياة ويجد في رعايته الأمن والطمأنينة . وكما يحتاج الإنسان لإشباع الجسد كذلك يحتاج لإشباع الجانب الروحي في شخصيته عن طريق العبادة والتدين مما يؤدي إلى السلام النفسي ويكون الإنسان راضياً عن ماضيه وعن حاضره و متفائلاً بمستقبله .

اذن هذه الوسطية وهذا التوازن يمثل للإنسان الوقاية من الاضطرابات النفسية والانحرافات السلوكية وهناك ارتباط إيجابي بين التدين ومظاهر الصحة النفسية ، وارتباط سالب بين التدين ومظاهر اختلال الصحة النفسية ، إذن لابد من التوازن والتوسط دون إفراط ولا تفريط ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ [القصص : ٧٧].

وهذا ما أسقطه علم النفس الحديث من حساباته و اكتفى بالعوامل البيولوجية والاجتماعية والحضارية لمكونات السلوك الإنساني ورفضه للجانب الروحي الذي إذا صح نقص الشعور بالشقاء والخوف والحزن مما يجعل الإنسان في قمة الصحة والاطمئنان النفسي وانشراح الصدر والتفاؤل وعدم اليأس .وجميع الشعائر التعبدية تؤدي دورا كبيراً في بناء الجانب الروحي للإنسان من صلاة وصوم وزكاة وحج ، والتي لا شك لها وظائف نفسية

متنوعة تنمي الصحة النفسية ، اذن الإشباع المتوازن لتلك الدوافع دون إفراط ولا تفريط وبالالتزام بالضوابط الشرعية وفق المنهج الإسلامي هو أساس للصحة النفسية .

المضامين الإنسانية في معاني الوسطية وتطبيقاتها :

للوسطية ملامح وسمات تميزها عن غيرها بمجموعة من الملامح التي تظهر بوضوح في معانيها وتطبيقاتها الواقعية وتحمل بين طياتها مضامين سامية وراقية ترفع من شأن كل أمة تلتزم بها وتصبح محور تميزها بين الأمم وتحديد هذه المضامين والملامح مهم لتوضيح ما للوسطية من دور في رقي الأمم.

وأبرز هذه المضامين التي تحملها الوسطية وتمثل جزءاً من تطبيقاتها :

(١) **الخيرية** : قال تعالى : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴾ [آل عمران : ١١٠]. وقال كذلك : ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ** ﴾ [البقرة : ١٤٣].

والوسط هنا : الخيار والأجود ، وأوسط العرب نسباً وداراً أي خيرها.[٤٨]

وقد روى الترمذي في تفسيره أن رسول الله ﷺ قال : " **إنكم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله** ".[٤٩] وبين علة هذه الخيرية ووصفها الوصف المناسب للذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وقد جمع كثير من المفسرين بين معنيي الخيرية والوسطية ، وهنالك كثير من الأمور التي أهلت هذه الأمة لهذه الخيرية ولكن هذه أهمها وأعظمها ولا تدوم هذه الخيرية إلا بإقامتها وأدائها وإذا فقدت هذه الأمور جيلاً بعد جيل لم يكن حرياً بها هذه الخيرية.

يتبين من ذلك خيرية هذه الأمة والتي جعلها الله أمة وسطاً وقد جمع المفسرون بين معنى الخيرية والوسطية ويتضح ذلك في أوجه هذه الخيرية من إيمان بالله عز وجل ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، واستجابتهم للأنبياء بخلاف غيرهم من الأمم ، وكونهم لا يجتمعون على ضلالة ، وأنزل عليهم خير الكتب السماوية ، وهو المحفوظ والمصون من

---

(٤٨) تفسير ابن كثير ، ١/ ١٩٠.

(٤٩) أخرجه الترمذي كتاب تفسير القرآن ، باب سورة آل عمران ، ١/ ٢١١ ، رقم ٣٠٠١ ، وقال حديث حسن.

الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل بإرادة الله تعالى ، وكون نبيها ﷺ أفضل الأنبياء والرسل والذي أرسل لكافة الناس وختمت النبوة به ، وهم أكثر أهل الجنة.

والوسطية التي يرشدنا لها الرسول ﷺ تمثل الخشية والتقوي وهي الخيرية في أفضل صورها ، وأي أمر يتصف بالخيرية يصلح أن يطلق عليه وصف الوسطية مما يوضح لنا التلازم بينهما.

(٢) الاستقامة : الاستقامة : لزوم المنهج المستقيم :

الوسطية استقامة ، ولو لم تكن على نهج الاستقامة لكانت انحرافاً ، والانحراف إما إفراط أو تفريط ، وهنالك عدد من العلماء يرى أن الوسطية تعني التنازل ولكن الوسطية مأخوذة من خاصية المرونة بحيث لا تصطدم بالأفكار والمبادئ الأخرى عند الالتقاء بها ، فهي القابلية للأخذ والعطاء ، والالتقاء عند نقطة وسط ترضي جميع الأطراف دون التنازل عن ضوابط الشرع التي هي الاستقامة فمن ادعى الوسطية مع خروجه عن الاستقامة فهذه ليست وسطية شرعية.

وقد جاءت كثير من الآيات تأمر بالاستقامة وتحث عليها ، قال تعالى : ﴿ **فاستقم كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ [الشورى : ١٥]. وقال كذلك : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ** ﴾ [فصلت : ٣٠].

وقال ابن القيم : الاستقامة ضد الطغيان ، وهو مجاوزة الحدود في كل شيء.[٥٠] وهو الاستمرار في جهة واحدة من غير الآخذ في جهة اليمين و الشمال ، وهي الاستقامة على محض التوحيد الصادق ، وهي الاستقامة على الأمر والنهي وأداء الفرائض ، وهي طاعة الله واجتناب نواهيه ، ومحبة الله وعبوديته وهي تتعلق بالأقوال والأفعال والأحوال والنيات.

وقد قال ابن القيم في مدارج السالكين مما يتضح معه علاقة الاستقامة بالوسطية ، وأنه لا استقامة بلا وسطية ، ولا وسطية بدون استقامة قال : " **وهي – أي الاستقامة – على ثلاث**

[٥٠] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، لابن القيم الجوزية ، تحقيق محمد حامد الفقهي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٢هـ ، ٢/ ١٠٤.

درجات : الدرجة الأولى : الاستقامة على الاجتهاد في الاقتصاد ، ولا عادياً رسم العلم ، ولا متجاوزاً حد الإخلاص ، ولا مخالفاً نهج السنة ".[٥١]

وبذل المجهود في الاقتصاد هو السلوك بين طرفي الإفراط وهو الجور على النفس والتفريط بالإضاعة.

فالاقتصاد في الأعمال والاعتصام بالسنة لأن الإعراض عنها داعٍ للبدعة. إذن لا بدعة التفريط والإضاعة ولا بدعة المجاوزة والإسراف.

وقال بعض السلف : **" ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان ، إما إلى تفريط وإما إلى مجاوزة ، وهي الإفراط ولا يبالي بأيهما ظفر ، زيادة أو نقصان ".**[٥٢] وهذا عين الوسطية وجوهرها.

(٣) **أما البينية** : فهي من لوازم وصفات الوسطية ، وهي وقوع الشيء بين شيئين ، وحينما نقول : إن الوسطية لابد أن تتصف بالبينية فهذا لا يعني البينية الظرفية فقط بل لابد من أن تعطي مدلولاً عملياً فيه الاعتدال والتوازن والبعد عن الغلو والتطرف أو الإفراط والتفريط وبهذا تكون البينية صفة مدح.[٥٣]

وللوسطية والبينية أصل في اللغة والاشتقاق ، وقد ذكر الإمام الطبري في تفسيره قوله : **" وأنا أرى أن الوسط في هذا الموضوع هو الوسط الذي بمعنى الجزء ، الذي هو بين طرفين ، مثل وسط الدار ، وذكرهم الله بأنهم وسط لتوسطهم في الدين ، فلا هم غلوا كما غلا النصارى بالترهب ، ولا هم قصروا تقصير اليهود الذين بدلوا وحرفوا كتاب الله تعالى فهم أهل توسط واعتدال ".**[٥٤]

---

(٥١) تهذيب مدارج السالكين ، لابن القيم ، هذبه / عبد المنعم صالح العلي الفري ، مؤسسة الرسالة ، ط٣ ، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م ، ٢/ ٥٢٩.

(٥٢) المرجع السابق ، ٢/ ١٠٧.

(٥٣) الوسطية في القرآن الكريم ، د. على محمد الصلابي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، صيدا ، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م ، ص١٤٢.

(٥٤) انظر تفسير الطبري ، ٢/ ٦.

والوسطية هي : التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متفاوتين دون أن ينفرد أحدهما بالتأثير بحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من غيره ، وقد أمرنا الله تعالى بالتوسط في كل شيء والتوفيق بين أشياء كثيرة كالتوفيق بين مطالب الفرد الواحد ومطالب الجماعة والتوفيق للعمل بين العاجلة والآجلة.

وقد قال د. عمر الأشقر : " **إذا نظرت إلى الشريعة وجدتها وسطاً في كل أحكامها فالأحكام بين الغالي والجافي** ".[٥٥]

إذن صفة البينية أساس في تحديد الوسطية وتعطي الدلالة على التوازن والاستقامة والعدل ومن ثم فالخيرية هي الوسطية الحقة.

والتطبيق العملي لهذه الوسطية والذي يمثل أعلى درجاتها فقد جاء عن رسول الله ﷺ : " **إني لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني** ".[٥٦] إذن الوسطية التي أرشدنا لها رسول الله ﷺ فالامتناع عن الزواج مطلقاً إفراط ، واتباع الشهوات دون وازع أو قيد تفريط ، والوسط هو الزواج وهو المشروع.

والصيام الدائم ، إفراط ، أما عدم الصيام فهو تفريط ، والمشروع هو الصيام أحياناً والفطر أحياناً ، والقيام مطلقاً إفراط ، والنوم مطلقاً تفريط ، والمشروع هو القيام والنوم حسب الطاقة ودون تكلف.

إذن البينية أمر مهم في تحديد الوسطية وتعطي الدلالة على التوازن والاستقامة والعدل ومن ثم الخيرية هي الوسطية الحقة.

(٤) **أما الحكمة** : فهي ملمح من ملامح الوسطية ، وهو توسط معنوي ويكون تحقيقاً للمصالح ودرءاً للمفاسد وهي الحكمة.[٥٧]

---

[٥٥] خصائص الشريعة الإسلامية ، عمر الأشقر ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ط١ ، سنة ١٩٨٢م ، ٨٦-٨٧.

[٥٦] أخرجه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب الترغيب في النكاح ، حديث رقم ٥٠٦٣.

[٥٧] الوسطية في القرآن الكريم ، د. على محمد الصلابي ، ص١١٤

فالوسطية أمر نسبي لا يتحقق إلا بإتقان الحكمة.

والحكمة قد جاءت بعدة معانٍ فهي تستعمل في العدل والعلم والحلم ، وأحكم الشيء : أتقنه فاستحكم وصفه عن الفساد.[٥٨]

وهي عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها : حكيم.[٥٩] وهي إصابة الحق بالعلم والعقل.

أما في الاصطلاح الشرعي فهي الإصابة في القول والفعل وقيل : معرفة الحق والعمل به ، وقيل : العلم النافع ، والعمل به ولا يسمى الرجل حكيماً إلا إذا جمع بينهما.[٦٠]

وأصل الحكمة ما يمتنع به عن السفه الذي هو كل فعل قبيح قال تعالى : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة : ٢٦٩].

وقد قال سيد قطب إن الحكمة هي **" القصد والاعتدال وإدراك العلل والغايات والبصيرة المستنيرة التي تهديه للصالح الصائب من الحركات والأعمال "**.[٦١]

وقيل عنها إنها **" فعل ما ينبغي ، على الوجه الذي ينبغي ، في الوقت الذي ينبغي "**.[٦٢]

وهي التوسط في كل القضايا بين الإفراط والتفريط.

والحكمة أنواع : الأول منها هي **الحكمة العملية النظرية** ، وهي الاطلاع على بواطن الأشياء وربط الأسباب بالمسببات ، و مرجعها إلى العلم والإدراك أما النوع الثاني فهي **العملية** : فهي وضع الشيء في موضعه ، ومرجعها لفعل العدل والصواب ، وقد أعطى الله تعالى أنبياءه ورسله ومن شاء من عباده الصالحين هذين النوعين والحكمة العملية هي أن تعطى كل شيء حقه ولا تعديه حده ولا تعجله عن وقته ولا تؤخره عنه ، تتضح هنا علاقة

---

(٥٨) القاموس المحيط باب الميم ، فصل الحاء ، ١٤١٥.

(٥٩) لسان العرب ، باب الميم ، فصل الحاء ، ١٢/ ١٤٣.

(٦٠) انظر تفسير القرآن ، لابن جرير الطبري ، ١/ ٤٣٦ ، ٣/ ٦٠-٦١.

(٦١) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ١/ ٣١٢.

(٦٢) مدارج السالكين ، لابن القيم ، ٢/ ٤٧٩.

الحكمة بالوسطية التي تتمثل هنا في قوة الإدراك والفطنة والخبرة ووضع كل الأمور في ميزانها الصحيح دون إفراط ولا تفريط.

ولابد أن يكون الحكيم عالماً حليماً متأنياً دون جهل أو طيش أو عجلة ، والعلم لابد أن يكون العلم النافع الذي هو أحد دعائم الحكمة وهو العلم الممدوح الذي دل عليه الكتاب والسنة وهو العلم الذي ورثه الأنبياء كما قال رسول الله ﷺ : **" إن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً ، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر ".**[٦٣]

أما الحلم الذي هو بالكسر فهو العقل وهو التأني والسكن عند الغضب ، وصفح وعقل وهو الذي لا يستخفه شيء من عصيان العباد ولا يستفزه الغضب عليهم وهو ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب.[٦٤]

والحلم هو حالة متوسطة بين رذيلتين : الغضب والبلادة ، وإن تحلى بالحلم مع القدرة وكان حلمه مع من يستحقه كان على فضيلة.

أما التأني فهو التصرف الحكيم بين العجلة والتباطؤ وهي من الرزانة بخلاف الرعونة والطيش ، وهي القدرة على ضبط النفس تجاه الانفعالات العجولة بخلاف التباطؤوالتواني فهما من صفات أصحاب الكسل والتهاون.

فهناك أمور واضحة لا تحتاج إلى تثبت وتبين وهناك أمور غير واضحة تحتاج من المسلم للتثبت والتبين فيها حتى يسلم من الزلل وبذلك يعرف دين العبد وعقله ورزانته.

يتضح جلياً من ذلك أن الحكمة ملمح بارز من ملامح الوسطية إذا لزمها العبد سلم في دينه ودنياه.

---

(٦٣) أخرجه أبو داؤد في سننه ، كتاب العلم ، باب الحث على طلب العلم ، ٣/ ٣١٧.

(٦٤) المفرات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، مادة حلم ، ١٢٩.

الخاتمة :

يتضح من خلال الدراسة السابقة حاجة البشرية إلى الوسطية والتي تمثل تطبيق أمر الله تعالى و رسوله ﷺ وهو المنهج المعتدل الذي يسلم به المجتمع المسلم من الأهواء ويوصل لتحقيق أمر الله في خلقه ومقاصد الشريعة في الدين والدنيا بعيداً عن الفتن والبدع التي أجمع العقلاء على نفيها ودفعها.

وفي ظل هذا الزمن المتسارع والقضايا المتجددة التي تلاحق الأمة الإسلامية في كل يوم وكل لحظة تبقى الوسطية من أهم الأمور التي يجب التأكيد عليها للدفاع عن الإسلام ضد الدعوات الهدامة التي تهدف إلى زعزعة عقيدة أهله وتمزيق وحدته ، والتمسك بدعوة الإسلام حتى لا ينحرف الإنسان بأهوائه وجهله وتعصبه وعدم رجوعه إلى أهل العلم والتجربة.

ودعوة الوسطية ترتكز على أسس قويمة وأدلة واضحة من القرآن والسنة والآثار والإجماع والعقل ، والتي تدور معانيها حول الخيرية والعدلية والتوسط.

وقد خلق الله الإنسان من روح ومادة هذه الطبيعة المزدوجة التي تجعل لكل إنسان متطلبات وأهدافاً مادية وروحية ينبغي أن تتوازن حتى يصبح جديراً بخلافة الأرض وعمارتها. إذ لا تعطيل لقوى الجسد ولا تجاهل لأشواق الروح ، فيقف الإسلام شامخاً بوسطيته واعتدال منهجه تجاه الإنسان والذي أكد على حاجته إلى هذه الوسطية والاعتدال ليعيش حال الأمان والاطمئنان والسلام النفسي ، فهي تعني التوازن والاعتدال.

وقد برزت هذه الوسطية في جميع المجالات في أحكام وتشريعات الإسلام في العقيدة ، المتمثلة في التوحيد الخالص الذي يكون وازعاً ورقيباً للمسلم ويبعث على عمل الخير المثمر ، في العبادات ، دون إفراط ولا تفريط ، بل يسر واحتمال ورفع للمشقة والحرج ، فلا انقطاع لها ولا ترك ، بل اعتدال ، وفي المعاملات نجدها في الاقتصاد ، السياسة والاجتماع ، أما في الأخلاق ، فهي السياج الحامي من الانحراف. وفي التشريع وجميع مناحي الحياة وتأكدت جميع مضامين وتطبيقات معاني الوسطية المختلفة مؤكدةً صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان .

إذن فهي تعني استقامة الدرب وعدم الميل والانحراف ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ [الأنعام : ١٥٣]. وتعني الخيرية فالفضيلة وسط بين رذيلتين.

المصادر والمراجع :

(١) الإسلام والسياسة ، د. حسين فوزي النجار ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

(٢) البداية والنهاية ، لابن كثير ، ط مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٣٩٤ هـ.

(٣) تفسير المنار ، للشيخ محمد رشيد رضا ، ط دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط٢.

(٤) تهذيب مدارج السالكين ، لابن القيم ، هذبه / عبد المنعم صالح العلي الفري ، مؤسسة الرسالة ، ط٣ ، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

(٥) الثقافة الإسلامية الماضي والحاضر والمستقبل ، أ. د محمد زين الهادي العرماني (مخطوط).

(٦) جامع البيان في تفسير القرآن ، للطبري ، تحقيق محمود شاكر ، دار المعارف مصر.

(٧) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي.

(٨) خصائص الشريعة الإسلامية ، عمر الأشقر ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ط١ ، سنة ١٩٨٢م.

(٩) الخصائص العامة للإسلام ، دكتور يوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١٠ ، ١٩٩٧م.

(١٠) سنن أبي داود ، للحافظ أبو سليمان بن الأشعث السجستاني.

(١١) صحيح البخاري ، بيروت ، لبنان ، تحقيق ديب البغا ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

(١٢) صحيح البخاري ، تحقيق مصطفى ديب البغا ، طبعة ١٤١٠هـ-١٩٩١م.

(١٣) العدالة الاجتماعية في الإسلام ، سيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م ، ط٢.

(١٤) فتح الباري ، لابن حجر ، البابي الحلبي ، ١٣٧٨هـ.

(١٥) الفكر الإسلامي ، مبادئه ومناهجه قيمه وأخلاقياته ، محمد الصادق عفيفي ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٧٧م.

(١٦) فلسفة التربية ، د. ماجد عرسان الكيلاني ، مؤسسة الريان للطباعة ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م ، ط١.

(١٧) فلسفة القيم ، نازلي إسماعيل ، القاهرة ، مصر ، ١٣٨٩هـ-١٩٧٩م.

(١٨) في ظلال القرآن ، لسيد قطب.

(١٩) القاموس المحيط ، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، د. ت ، ط١.

(٢٠) القيم السياسية في الإسلام ، د. إسماعيل عبد الفتاح ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، مصر ، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م ، ط١.

(٢١) القيم بين الإسلام والغرب ، د. مانع علي المانع ، رسالة دكتوراه ، دار الفضيلة الرياض ، السعودية ، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

(٢٢) لسان العرب ، ابن منظور ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

(٢٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للحافظ الهيثمي.

(٢٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، لابن القيم ، تحقيق محمد حامد الفقهي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٢هـ.

(٢٥) المدخل إلى الصحة النفسية ، د. محمد صالح عبد الرؤوف ، د. السر أحمد سليمان ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط ١ ١٤٢٧/ ٢٠٠٦م.

(٢٦) مشكلة الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرين ، د. عبد الرحمن اللوتجو ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٦-١٩٩٦م.

(٢٧) المصباح المنير لأحمد بن محمد الفيومي ، المكتبة العلمية ، بيروت

(٢٨) المعجم الوسيط ، دار إحياء التراث العربي ، قطر ، الدوحة ، بدون طبعة.

(٢٩) معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١١هـ ١٩٩١م.

(٣٠) معلمة الإسلام ، المجموعة الثانية ، أ. أنور الجندي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ-١٩٩٢م.

(٣١) المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان.

(٣٢) الموسوعة الفلسفية ، د. عبد المنعم حنفي.

(٣٣) الوسطية في الإسلام ، فريد عبد القادر.

(٣٤) الوسطية في القرآن الكريم ، د. على محمد الصلابي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، صيدا ، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.